

المجلد ٩ / العدد ٣٤/ السنة التاسعة - تموز ٢٠١٣م

العلاقات بين دولة المدينة وبلاد الشام في عصر الرسول

د غزوة شهاب احمد م. مهدي عبد الحميد

جامعة سامراء- كلية التربية -قسم التاريخ

مقدمة:

بعد أن أصبح الإسلام قوة، فكر الرسول صلى الله عليه وسلم في توسيع الرقعة الجغرافية لأنه بعث للناس كافة فاتجهت أنظاره إلى الشمال، إذ كانت المنطقة الشمالية من الجزيرة العربية موضع اهتمام الإمبراطوريتين العالميتين بيزنطة وفارس منذ زمن بعيد، وبالوقت نفسه هي الآن موضع اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث اتخذت الشام حيزاً بارزاً في السياسة الخارجية لدولة المدينة، فأخذ الاحتكاك في ذلك الوقت أشكالاً مختلفة، فبحسب المعطيات التاريخية أن دعوة الناس إلى الإسلام لم تكن وقفاً على الجهود الدبلوماسية فقط بل كانت البعوث العسكرية مجالاً آخر من مجالات التبادل والاتصال الفكري، وأعطت الدبلوماسية والجهود العسكرية نتائج ملموسة في هذا الجانب، وهذا النشاط حقق الأهداف المطلوبة من بدايته فعندما علم الرسول صلى الله عليه وسلم أنّ جمعاً كبيراً يريد أن يدنوا من المدينة(١)، غزاهم في دومة الجندل، وكانت أول اهتمام للرسول صلى الله عليه وسلم بالشام، وقد سكنها بنو كلب(٢). وقد ذكرت المصادر أسباباً متعددة للغزوة منها تأمين الطريق إلى دومة الجندل كسوق تجارية لهم وحرمان قريش من هذا السوق(٣)؛ لاسيما أنّ المدينة تستمد حاجتها من المواد الغذائية منها(٤)، و كان ذلك بعد السماع بخبر تجمع القبائل للزحف باتجاه المدينة. طبعاً تحرك هذه القبائل يدل على بداية اهتمام الروم بالقوة الناشئة، وأن المسلمين وقائدهم محمد صلى الله عليه وسلم أصبحوا يشكلون خطراً على الروم فسعت إلى الضغط عليهم اقتصادياً وذلك بتهديد قوافل المدينة فكان رد الرسول صلى الله عليه وسلم بإرسال هذه الحملة(٥)، ومن جانب آخر كانت تهدف إلى إظهار قوة المسلمين لإقناع السكان في تلك المناطق، أنهم الوحيدون القادرون على حمايتهم وبالتالي شن حرب نفسية عليهم، أضف إلى ذلك السعي لنشر الرسالة العالمية أو كسر حاجز الخوف من قتال الروم. كما أضاف بعضهم غاية أخرى لهذه الغزوة تمثلت بالاستطلاع(٦).

لذلك ندب الرسول صلى الله عليه وسلم الناس ، وخرج لخمس ليالٍ بقين من شهر ربيع الأول (٥هـ) . آب (٦٢٦م) في ألفٍ من المسلمين، لكنه عندما دنا من الموضع هرب الروم.

فأقام أياماً وبث السرايا فرجعت ولم يصب منهم أحداً(٧). وعاد إلى المدينة مؤكداً على هيبة الدولة الإسلامية وقدرتها على التعامل الحاسم مع المتربصين بها. أضف إلى ذلك أن هذه الغزوة فتحت أمام المسلمين جبهة الشام وهي جبهة معروفة لديهم. وكان ذلك أول حلقة في سلسلة الصراع بين قوة العرب المسلمين و قوة الروم البيزنطيين، وحرب وقائية حمت المسلمين من الخطر الذي كان يتهددهم.

ونظراً إلى أهمية موقع دومة الجندل بين الشام والحجاز كان لابد من حسم العلاقة فتكرر الامتداد لذلك مرة أخرى في شعبان (٦هـ) تشرين الثاني (٦٢٧م) ، وقاد الحملة عبد الرحمن ابن عوف الكلبي، وهنا لابد من التساؤل الآتي: لماذا تم اختيار عبد الرحمن بن عوف بالذات لقيادة هذا الجيش؟. والجواب، يمكن أن يكون

محاولة لاستمالة سكانها اعتماداً على صلة قرابتهم معه، وذلك لدعوتهم إلى الإسلام، وأوصاه النبي حينما دفع إليه اللواء بالوصية الآتية "أغزوا جميعاً في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا وليداً، فهذا عهد الله وسيرة نبيه منكم"[٨] . فكانت غزوة هجوميّة دعويّة.

وحققت الغزوة أهدافها؛ إذ أسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي في اليوم الثالث، وأسلم معه كثيرون من قومه ومن بقي منهم أُخِذَتْ منه الجزية، وتزوج عبد الرحمن بن عوف ابنته تماضر[٩]. وذلك لأن المصاهرات كانت من أعظم الأسباب لتوطيد الود والمحبة بين القبائل، كما أنها عامل من العوامل التي أدت إلى انتشار الإسلام بين الناس[١٠]، والمتمعن بغزوة دومة الجندل يدرك مدى أهميتها، فقد كانت غزوة استطلاعية لجبهة لم يجهلها المسلمون ودفاعية أخذت صورة الهجوم على قومٍ اجتمعوا لقتال المسلمين، فكان لابد من إحباط هذا المسعى، وتدريبية لجيشٍ لم يعتد القتال خارج حدود الجزيرة، و تكمن أهمية هذه الغزوة في أنها تجاوزت حدود الحقبة الزمنية التي حدثت فيها، ففرضت السيطرة على هذه المنطقة سواء بالقوة أم بالتحالف، وأحكمت حلقة الحصار على مكة[١١]، وزادت من الضغط الاقتصادي عليها وذلك بتهديد قوافلها المتجهة إلى بلاد الشام، كما أنها كانت اللبنة الأولى لعرش أمة جديدة، وشكلت مقدمة لحركة الفتوح الإسلامية.

استمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاهتمام بالشمال فوجه السرايا إلى الشام ولم يفتر عنهم في أي وقت من الأوقات، فكانت سرية حسمى في فلسطين، والتي قاد فيها زيد بن حارثة خمسمائة رجل من المسلمين، إذ أغار على ماشية جذام ونسائهم، وذلك لتأديبهم بعد أن قطعوا الطريق على دحية بن خليفة الكلبي الرسول العائد من عند قيصر ودليله من بني عذرة، وأحاط تحركاته بالسرية، فكان وصوله مع أصحابه مفاجئاً لبني جذام، فقتلوا الهنيد وابنه وغنموا منها الكثير، إلا أنّ أفراداً من قبيلة جذام توجهوا إلى المدينة وقصوا على الرسول صلى الله عليه وسلم ما حدث، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بفك الأسرى من جذام، وأرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع رفاعة ليبلغا ذلك لزيد بن حارثة، فاستردت جذام جميع ما كان في أيدي الجيش فمهدت تلك الأحداث لعلاقة وثيقة مع هذه القبيلة التي سيكون لها تأثير مهم في مسار السياسة التي انتهجها الرسول صلى الله عليه وسلم تجاه القبائل العربية في بلاد الشام. وكان ذلك في السنة (٦هـ / ٦٢٧م)، وكانت بعد غزوة دومة الجندل الثانية على ما قاله الواقدي[١٢]، وقد كانت ناجحة في حدود الغرض الذي أرسلت من أجله.

وتلتها غزوة استطلاعية هجومية أخرى سبقت مؤتة وهي ذات أطلاح وذلك في شهر ربيع الأول من سنة (٨هـ / ٦٢٩م) بقيادة كعب بن عمير الغفاري، وكانت قوتها لا تتجاوز الخمسة عشر رجلاً وقتل فيها الجميع باستثناء رجل واحد حمل جراحه حتى وصل المدينة وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم الذي رغب في تجريد حملة كبيرة للانتقام، إلا أنّ الأخبار وصلته بفرار المشركين فعدل عن رأيه[١٣].

وكان لهذه التحركات ضرورة سياسية وعسكرية فرضتها أحوال الدولة الجديدة الناشئة التي أوقفت صراعها مع قريش كلما أرادت التوجه نحو الشمال، إذ إنّ هذه المواجهة جاءت بعد أخفاق كل الدعوات السلمية والمحاولات لإقامة تحالفات واتفاقات.

إرسال الرسائل بالدعوة للإسلام:

تحدثت المصادر[١٤]، أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد انصرافه من الحديبية أرسل ستة من أصحابه إلى ملوك الدول المجاورة وأمرائها، ولايمكن معالجتها جميعها لأن البحث يتعلق بجنوب بلاد الشام. وهناك اختلاف على تاريخ تلك المراسلات، والتي تمت في نهاية السنة (٦هـ / ٦٢٧م) وبداية السنة (٧هـ / ٦٢٨م)[١٥]، وهي أنسب زمن لإرسال هذه الكتب، فقد انتشر الأمن والسلام بعد صلح الحديبية، وكان من جملة الذين أرسلهم دحية بن خليفة الكلبي[١٦]، أحد رسله الستة إلى هرقل[١٧]، وقد وصلت تلك الرسالة وهرقل بحمص، ولما فرغ من قراءة الكتاب رد هرقل برسالة أظهر فيها رغبته في دخول الإسلام، ولكن قومه لم يطيعوه[١٨]، إلا أنّ هذه الرواية لا تثبت أمام المناقشة. فكيف ذلك وقد قضى حياته محارباً للإسلام، وما يثبت ذلك نفيه للمقوقس حاكم مصر واتهامه له بالخيانة نتيجة صلحه مع العرب في خلافة عمر بن الخطاب[١٩]، فصحيح أنه أحسن استقبال مبعوث الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن ذلك لا يكفي للقول أنّه قد أعلن عن رغبته في دخول الإسلام.

وأرسل عليه الصلاة والسلام شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني[٢٠]، وقيل بعثه إلى جبلة بن الأيهم الغساني[٢١]، ولعل جبلة هو الأصح لأنه كان حاكماً في بلاد الشام في ذاك الزمن وحليفاً للروم.

والمفيد ذكره أنّ النشاط الأبرز بعد مراسلة الملوك، كُتُبْ الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مالك بن أحمر الجذامي العوفي ورفاعة بن زيد الجذامي وفروة بن عمرو الجذامي عامل الروم على معان[٢٢]، وبني جفال الجذاميين، وزهير بن قرضم من قضاعة، وإلى زمل بن عمر العذولي وإلى جزء بن عمرو العذري[٢٣]، وإلى سعيد بن هذيم من قضاعة وإلى بني غاديا وبني عريض وبني جناب من كلب[٢٤]، سلفت الإشارة إلى بعضها.

وهذه الكتب كانت أقل أهمية من المراسلات مع الملوك، ولم تولَ الاهتمام الكافي ولم تحفظ بدقتها كما حفظت مراسلات الملوك. وتؤكد الرسائل والجهات التي أرسلت إليها، أن هناك خطة أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينفذها، وأن أنظاره تتوجه إلى شمال الجزيرة العربية، فالطريق معروفة بالنسبة إليه، ثم إنه يريد فتح طريق تجاري له ولأصحابه في الوقت الذي ينشر فيه الإسلام لأن رسالة الإسلام لم تكن مقصورة على العرب وإنما هي للناس كافة، كما تم توضيحه من قبل.

وقد تضمنت هذه المراسلات دعوة هؤلاء بالحسنى إلى دين الله[٢٥]، دعوة للوصول إلى كلمة سواء، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة التي استشهد بها الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابه إلى هرقل:{**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**}[٢٦]. وبالفعل نجح الرسول صلى الله عليه وسلم في التمهيد لنشر الدعوة الإسلامية، ونجح في كسب العديد من القبائل مثل صاحب آيلة وأهل جرباء وأذرح. وفي الواقع هذه إستراتيجية جديدة لم تألفها الشعوب من قبل، فلم يدعُ الكافر لأمر غير:(أسلم تسلم)، إذ لم يكن هناك لا مفاوضات ولا أي تنازلات، إذ إن الحق واحد ولا يتعدد، والرد على أي قرار من قبلهم لن يكون ما يسمعونه بل ما سيرونه.

وعلى الرغم من أنّ كل المصادر تحدثت عن هذه المراسلات، إلا أن بعض المستشرقين[٢٧] قد أنكروها، ومنهم من قال إنّ خلفاء محمد صلى الله عليه وسلم هم الذين صاغوا هذه الرسائل وذلك لإثبات عالمية الإسلام[٢٨]، إلا أنّ هذا الزعم لا يصمد أمام أمر أثبته القرآن الكريم بأقوى بيان، فقد كانت عالمية الدعوة الإسلامية قضية ثابتة منذ ظهور الإسلام بمكة ولم تكن أمراً جدَّ على الساحة مع ارتفاع شأن الإسلام بالمدينة[٢٩]. وآيات القرآن الكريم أكدت هذه الحقيقة :{ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**}[٣٠]. ويسوّغون آراءهم بعدم عثورهم على ما يثبت ذلك من وثائق لدى هؤلاء الملوك والأمراء، و طبعاً هذا دليل غير كاف لما يدعون، لأنه قد تكون الصور الأصلية فقدت لسبب ما، أما مؤرخو العرب فلا يشككون بذلك، بل أثبتوا صحتها[٣١].

ويتساءل بعضهم عن اللغة التي كتبت بها الرسائل، وتأتي الإجابة عن ذلك في الوثائق التي عثر عليها، فجميعها أظهرت أن الخط العربي غير المنقوط هو خط كتابتها[٣٢]، فكيف فهمت الأطراف المتعددة قراءتها ؟. قد يكون عن طريق العرب الذين خضعوا لسيطرة هذه الدول .

ألم يكن الغساسنة وغيرهم حلفاء للروم؟ ألم يتخذ الروم هؤلاء عيوناً لهم وقوة تحميهم من هجمات القبائل؟ ألم يكن هناك جماعة من النبط سميت بالساقطة[٣٣] تنقل أخبار الحجاز إلى الروم؟. أضف إلى ذلك العلاقات التي كانت قائمة بين الحجاز وبلاد الشام منذ قبل الإسلام، حيث عدت بيزنطة أن التحالف مع القبائل التي كانت تنزل الشام وتمدّها بالمال سنوياً مقابل حماية الحدود والمواضع التي يصعب حمايتها هو حماية لها وللقوافل التجارية وللمنطقة التي تشهد الصراع الذي كان يحتدم بينها وبين فارس.

غزوة مؤتة[٣٤]:

تعد غزوة مؤتة من أعظم البعوث الحربية التي بعثها الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل إعلاء كلمة الله ورد كيد أعدائه، وكانت في شهر جمادى الأولى من السنة (٨هـ) آب أو أيلول (٦٢٩م)، على ما ذكره أغلب المؤرخين[٣٥]، في أعقاب غزوة خيبر وذلك في وقت كان فيه النبي صلى الله عليه وسلم في موقع قوي مما يؤكد على أنها لم تكن عفوية بقدر ما كانت من المنجزات السياسية المهمة والإعداد الهادئ لها[٣٦]. فكانت غزوة هجومية دفاعية.

وقد تعددت أسبابها ، واختلفت أغراضها ، وتنوعت أهدافها :

فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم، قد بعث الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بصرى بكتاب فقتله شرحبيل بن عمر الغساني في مؤتة ولم يُقْتَل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسولٌ غيره فَقَتْلُ مبعوث الرسول صلى الله عليه وسلم تحدٍ صريح واعتداء مباشر على الإسلام، عندما كان يركز دعائمه في أرجاء الجزيرة، فندب الناس ولبوا نداء الرسول صلى الله عليه وسلم وعسكروا بالجرف[٣٧]،

وهدفهم من ذلك الثأر لقتل الحارث بن عمير الأزدي والثأر لشهداء ذات أطلاح الذين قادهم عمرو بن كعب الغفاري وهو الناجي الوحيد[٣٨].

هذا الاعتداء قلل من هيبة الإسلام في نفوس الأعراب ، الذين أذعنوا بسبب قوته وهيبته، والإسلام حريص على بقاء هذه الهيبة، والسكوت على هذا الأمر يمهد لتجرؤ الأعراب على المسلمين[٣٩]، فكان لابد من الثأر للكرامة الإنسانية وتأديب تلك القبائل، إلا أنه لم يكن السبب الرئيس والوحيد وإنما شكل حافزاً لا أكثر، لأن سرايا الرسول صلى الله عليه وسلم كانت سلسلة متصلة الحلقات، وهذا التحرك فرضته في المقام الأول مستجدات المرحلة، حيث الطريق مفتوحة والقبائل متداخلة الانتماء والمصالح، دون أن يعيق ذلك تعارض الولاء الذي بدا واهياً حيناً ومخترقاً أحياناً أخرى، فضلاً عن معرفة النبي التفصيلية بمجمل المعطيات[٤٠]. أضف إلى ذلك فقد كانت غزوة مؤتة بمثابة:

- تدريب للمسلمين على خوض المعارك الصعبة، ومواجهة القوى الكبرى.
- وتعويدهم الصبر، وتحمل المشاق.
- استكشاف عدوهم وقوته، واستطلاع مواقعه وطبيعة أرضه.
- الحصول على الأسلحة المتطورة التي كانوا بأمس الحاجة إليها في تلك الظروف خاصة وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان ينوي فتح مكة، فقد اشتهرت مشارف الشام وهي وجهتهم . المكان الذي قتل فيه الحارث بن عمير الأزدي . بصناعة أحد الأنواع المشهورة من السيوف وهي السيوف المشرفية[٤١]، وستظهر أحداث المعركة حقيقة هذا الأمر.
- دراسة ردود الأفعال العربية والأجنبية المعادية للحركة العسكرية المسلمة الناشئة في الجزيرة العربية.
- رفع المعنويات لدى المسلمين، والانتقال إلى مرحلة التفكير بنشر مبادئ الدعوة خارج حدود الجزيرة، باستخدام الوسائل المناسبة كافة [٤٢].
- فتح خط تجاري إلى الشام مستقل عن الخط القرشي ومنافس له ليحل مسألة الأمن الغذائي في المدينة ذات الخاصية الزراعية . ويبدو أن الاكتظاظ السكاني الذي حل بالمدينة جعل المردود الاقتصادي غير كاف . فاقتضى الأمر والحال هذا التحويل من السرايا إلى الغزوات وكانت مؤتة أولها نحو الشام.
- اختراق الحاجز القبلي المتحالف مع بيزنطة في الشام.
- إقامة مراكز نفوذ للإسلام على الأطراف الشامية.

وهذه الأسباب مجتمعة مع الشرارة الأولى والتي تمثّلت بقتل الحارث بن عمير الأزدي، عجلت في قيام هذه الغزوة.

وتجهز لدى الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف مقاتل[٤٣]، وهذا العدد يدل على أنه منذ غزوة دومة الجندل بدأت بعوث النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشام تأخذ طابع الجيوش المقاتلة لا طابع جماعة الدعاة المدافعة لكثرة من خرج فيها من المسلمين[٤٤]، فكانت ذات طابع هجومي ودفاعي في الوقت ذاته. واستعمل عليهم زيد بن حارثة رضي الله عنه، فهو شامي المولد، انحدر من قبيلة كلب التي اتخذت منازلها بجوار دومة

الجندل[٤٥]. وقال صلى الله عليه وسلم :" إن أصيب زيد، فجعفر بن أبي طالب ، فإن أصيب جعفر، فعبد الله بن رواحة على الناس، فإن أصيب عبد الله بن رواحة فليرتض المسلمون منهم رجلاً فليجعلوه عليهم"[٤٦].

لذلك عُرِفَ جيش هذه الغزوة، بجيش الأمراء، إذ تم تعيين ثلاثة قادة بالتتابع، وهذا التصرف يظهر لنا إدراك الرسول صلى الله عليه وسلم صعوبة العمل الذي يقدم عليه وخطورته، وأن هناك خطة مرسومة يجب تنفيذها بدقة وأهداف بعيدة للغزوة، لذلك وقبل مغادرته المدينة حاول وضع الحلول لأي مشكلة يمكن أن تواجه هذا الجيش لاحقاً. وتميز الإعداد لهذه الغزوة بالسرِّيّة التامة ، إذ لم يحدد الرسول صلى الله عليه وسلم وجهتها إلا بعد أن اكتمل الجيش لديه[٤٧].

فتجهز الناس ، ثم تهيّأوا للخروج، وعسكروا في الجرف حيث عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء أبيض، ودفعه إلى زيد بن حارثة، وودّع الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليهم فبكى عبد الله بن رواحة، فقالوا ما يبكيك يا ابن رواحة فقال أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة إليها، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ :{ **وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا**}[٤٨].

فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود، فقال المسلمون صحبكم الله وردكم إلينا سالمين ودفع عنكم[٤٩]. فقال ابن رواحة عند ذلك:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرع تقذف الزبدا[٥٠].
أو طعنة بيدي حران مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا[٥١].
حتى يقال إذا مروا على جدثي ... أرشده الله من عارٍ وقد رشدا[٥٢].

وهذا القول له دلالة واضحة على أن المسلمين لم يسعوا إلى منصب أو إلى ربح في الدنيا ، بل إن كل غايتهم هي الآخرة، فعلى الرغم من قلة أعدادهم فقد كانت معنوياتهم مرتفعة وهممهم عالية، وبالتالي فقد ظهر مذهب عسكري جديد انتصر على مذهب عسكري قديم، وإنسان مؤمن بمبادئه الدينية وتربية عسكرية جديدة تفوّقت على القديمة.

أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير الأزدي، وأن يدعو من هناك إلى الإسلام، ثم شيع الجيش الإسلامي إلى ثنية الوداع[٥٣]. وأوصاهم قائلاً:" اغزوا باسم الله في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله لا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث، فأيتهن ما أجابوك إليها فاقبل منهم وأكفف عنهم، ادعهم إلى التحوّل من دارهم إلى دار المهاجرين، فإن فعلوا فأخبرهم أنّ لهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، وإن دخلوا في الإسلام واختاروا دارهم، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله، ولا يكون لهم في الفيء ولا في القسمة شيءٌ إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية، فإن فعلوا فاقبل منهم واكفف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإن أنت حاصرت أهل حصن أو مدينة فأرادوك أن تستنزلهم على حكم الله

فلا تستنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا، وإن حاصرت أهل حصنٍ أو مدينة فأرادوك على أن تجعل لهم في ذمة الله وذمة رسوله، فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة رسوله، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أبيك وذمة أصحابك، فإنكم إن تخفروا ذمتكم وذمم آبائكم خيرٌ لكم من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله"(٥٤).

وهذا تأكيدٌ على طبيعة الإسلام بالدعوة إلى السلام والمحبة، وحقن الدماء وعدم الدعوة إلى الحرب إلا إذا استنفذت كل الوسائل الممكنة؛ فقد أراد الرسول صلى الله عليه وسلم من الغزوة أن تكون فاتحة الأعمال الحربية خارج نطاق الجزيرة العربية، ولهذا ربط الخروج إلى مؤتة بنصائح أصبحت هي القانون الحربي الذي سار عليه خلفاؤه من بعده، إنّ هذه الوصية أوجدت من حول مؤتة جواً كالذي أوجدته من حول المعارك اللاحقة . أيام أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما . ولهذا أصبحت مؤتة جزءاً مهماً من الفتوحات الشامية(٥٥).

ويذكر المؤرخ البيزنطي ثيوفانس أنّه كان لبيزنطة عيون تراقب الأحداث في الحجاز. من هؤلاء واحد حمل اسم قطبة، وهو قرشي الأصل، وكان يعمل بمثابة حاجب، أو ترجمان لتيودور أخو هرقل، وصادف في أثناء الإعداد للحملة وجوده في الحجاز، فأسرع نحو تيودور يخبره بالأمر، وقد صمتت المصادر العربية بما فيها كتب الأنساب عن ذكر اسم قطبة، وربما كانت له قرابة أو علاقة مع أبي سفيان، أو أنّ أبا سفيان التقى مع هرقل وهو الزعيم القرشي التاجر في بلاد الشام ومن وجهاء مكة، وفي الوقت ذاته كانت علاقات تيودور غير مستقرة مع القبائل في بلاد الشام، وأمام هذا الوضع صالح تيودور القبائل ودفع كميات كثيرة من الذهب لقادتها من أجل الاستنفار(٥٦)، ويبدو أنّ عيونه حدّدت له وقت وصول الحملة الإسلامية، إذ غادرت الحملة المدينة سالكة طريق القوافل بين الشام والحجاز، فاجتازت تبوك، وواصلت تقدمها حتى معان فنزلت فيها، وتبعد عن المدينة /٨٤٣كم / من جهة الشمال، وهي أول بلاد الشراة(٥٧)، وعند قرية كثكث(٥٨)تحرّش أهل تلك القرية بالجيش بعد أن تجاوزهم معظمه، فهاجموا ساقته وقتلوا واحداً من المسلمين، ولكن عظم الجيش لم يتوقف لهذا الحادث واستمر في سيره، ورفض القائد زيد بن حارثة العودة إليهم حرصاً على تركيز الجهود وخوفاً من اشتغال المسلمين بهم عن عدوهم الحقيقي وتشتيت قواهم، وكي لا يصبحوا بين نارين. وهذا يدل على بصيرة ثاقبة وقيادة حكيمة قلما تتوافر لدى أمراء الجيوش في مثل هذه الظروف، لاسيما وأنّ هناك هدفاً أسمى أمامهم(٥٩). ولمّا فصل المسلمون من المدينة سمع العدو بمسيرهم فجمعوا الجموع. وقام فيهم رجلٌ من الأزد يقال له شرحبيل بن عمر، وقدم الطلائع أمامه، وقد نزل المسلمون وادي القرى وأقاموا أياماً، وبعث أخاه سدوس الذي قتل فخاف شرحبيل بن عمرو فتحصّن، وبعث أخاً له يقال له وبر بن عمرو فقتل، فسار المسلمون حتى نزلوا أرض معان من أرض الشام(٦٠).

وبلغ الناس أنّ هرقل قد نزل مآب، من أرض البلقاء، في مئة ألف من الروم، وانضم إليهم مئة ألف من لخم وجذام والقين(٦١) وبهراء و بلى، عليهم رجل من بلى يقال له مالك بن زافلة، لم يكن المسلون قد أدخلوا في حسابهم لقاء مثل هذا الجيش العرمرم، الذي بوغتوا به في تلك الأرض البعيدة عن ديارهم، فكيف لجيش صغير لا يتجاوز الثلاثة آلاف مقاتل أن يواجه جيشاً ضخماً وكبيراً قوامه مائتا ألف مقاتل(٦٢).

وإنّ هذا الرقم فيه الكثير من المبالغة، لأنه من دراسة التاريخ لم يتمكن الروم ولا الغساسنة حتى ذلك الوقت من حشد هذا العدد من الجند قبل ذلك في بلاد الشام، فلربما ذكرت الروايات هذا العدد الهائل لتدلل على خطورة الموقف بالنسبة إلى المسلمين، وبيان الفرق الشاسع بين أعداد المسلمين وأعداد عدوهم فضلاً عن الفارق الكبير في القدرة العسكرية والسلاح.

فلماذا هذا الجمع الهائل؟.

أهو الفزع من قوة المسلمين التي ارتجّت لها أرجاء الجزيرة العربية؟. والتي لم تستطع قوة جيش الأحزاب مجتمعة أن تنال منها، أم هي سمعة المسلمين المنتصرين على حصون اليهود على الرغم من مناعتها وقوتها[٦٣]، أم كبر وزهو هرقل؟.

وقد يكون هذا الجيش الذي احتشد في مؤتة ما كان يزيد عن بضعة آلاف[٦٤] هذا من جهة، ومن جهة أخرى فلو كان ذلك العدد صحيحاً، لقتل أغلب الجيش ولم يسلم منه إلا القليل القليل. إلا أنّ هذا لا يمنعنا من القول أنّ عدد القوات المعادية كان مرتفعاً.

ولما بلغ المسلمون ذلك أقاموا في معان ليلتين، يفكرون في أمرهم، وقالوا نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره ، فنمضي إليه ، فوقف عبد الله بن رواحة وقال:" يا قوم، إن التي تكرهون، للتي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحُسنيين! إما ظهور وإما شهادة". وتأثر الناس بما قاله ابن رواحة، وتعاهدوا على القتال في سبيل الله، وقد قال بعضهم لبعض قد والله صدق ابن رواحة فمضى الناس[٦٥]. وهذا يدل دلالة واضحة على المعنويات المرتفعة للجيش والإقدام على طلب الآخرة والتفكير بالثواب لا بالغنائم التي حاول بعضهم القول بها.

إن المسلمين لم يحاربوا بكثرة عدد، وإنما حاربوا بقوة الدين وثبات الإيمان، وعبقرية القيادة، وبطولة الجند، وحب الموت في سبيل الله، ثم ساروا، فالتقتهم جموع الروم والعرب بقرية من البلقاء يقال لها مشارف ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى قرية مؤتة[٦٦]، فعسكروا هناك، وتهيئوا للقتال ،فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عذرة وهو قطبة بن قتادة السدوسي، وعلى ميسرتهم عبادة بن مالك الأنصاري، وسكتت الروايات عمن كان في القلب وذلك قد يعني أنه القائد الأول الذي عينه الرسول صلى الله عليه وسلم [٦٧]. والسبب الذي دفعهم إلى الانحياز تمثل بطبيعة المنطقة الجبلية إذ يصعب فيه على المسلمين لقاء عدوهم، خاصة وأنّ أعدادهم لا تسمح لهم بالابتعاد عن بعضهم فتضعف قواهم، ومن ثم تأمين الطريق التي يمكن لهم أن يسلكوها في حال عودتهم بحيث يمنعوا التفاف العدو عليهم، لذا تحصنوا بمؤتة حماية لهم من خطر الإبادة ولا ننسى مسألة السيوف التي كانت تصنع في مشارف[٦٨]، فهل جاء انسحابهم إلى مؤتة لإشغال العدو ريثما يهجمون على مصنع السيوف ، ويحققون المهمة التي كلفوا بها.

المهم التقى الجمعان في مؤتة ، وبدأ القتال الذي ظهر فيه عدم التوازن من حيث العدد، فقاتل زيد بن حارثة بعد أن لبس درعاً، حاملاً راية الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى شاط في رماح القوم، بعد أن صاح من يأخذ هذا الدرع وقتل، فأخذه جعفر بن أبي طالب فلبسه، وأخذ الراية متقدماً نحو الأمام فقاتل ونزل عن فرسه وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها طيّبةٌ وطيّبٌ شرابها
والروم رومٌ قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
عليَّ إذ لاقيتها ضرابها[٦٩]

فقاتل حتى قُطِعَت يده اليمنى فأخذ اللواء بيده اليسرى فقطعت فضمه بعضديه فضربه رجل من الروم فقسمه نصفين فاستشهد. ودعا الناس عبد الله بن رواحة فأخذ اللواء وهو يردد:

يا نفس إلا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلي فعلهما هديت

فقاتل حتى قتل[٧٠]. فأخذ الراية رجل من الأنصار، وهو ثابت بن الأرقم الأنصاري فقاتل بها إذ مر به خالد بن الوليد، فقال له الأنصاري: "يا خالد خذ الراية فأخذها خالد"[٧١]. وكانت كل الظروف المحيطة ضد خالد وضد جيش المسلمين، في معركة واحدة استشهد فيها ثلاثة قادة على التوالي، وجيش المسلمين في أسوأ حالاته، في الوقت الذي كان فيه جيش الروم يعيش نشوة النصر، وكانت مؤتة أول اختبار حقيقي له بعد إسلامه، و لم تكن المهمة أمامه سهلة، إذ كان عليه أن ينقذ المسلمين من المأزق الذي وقعوا به والمحافظة على المسلمين من الإبادة الجماعية، فأظهر خالد بن الوليد هنا عبقريته العسكرية لمواجهة هذا الموقف.

بات خالد بن الوليد ليلته وهو يفكر بالانسحاب، ولكن كيف؟. وهو في وضع لا يحسد عليه ومهمته خطيرة، فقد ضعف المسلمون، وترك بعضهم ميدان القتال وقتل قبله ثلاثة من قادة المسلمين، وأمامه عدو عملاق بالعدد والعدة، ولا أمل له بوصول نجدات من المدينة لبعد المسافة وصعوبة الاتصال، وعلى الرغم من ذلك وضع خطة عبقرية عجز الخصم عن استيضاح معالمها، فأعاد التعبئة وهمَّ على الأعداء مواصلاً القتال حتى حلول الظلام، ثم رسم خطته لليوم القادم وقام بتغيير الوجوه إذ جعل مقدمته ساقته وساقته مقدمته، وميمنته ميسرته، وميسرته ميمنته فأنكر الروم ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيأتهم[٧٢]، كما سعى لإيهام الخصم بأن المدد يأتي بشكل مستمر، لذلك جعل الخيل طيلة الليل تجري بحركة دائرية وجعل طائفة من الجيش يثيرون الغبار ويكثرونه عند طلوع النهار، ونشر الجنود على طول جبهة عريضة، فكادت تملأ الأفق، وشكّل مؤخرة قوية لحماية الانسحاب ولتثبيط مطاردة العدو، وبهذا استطاع خالد رضي الله عنه تحقيق انسحاب مدروس منظم مع حماية دقيقة لمؤخرة الجيش، وإلا لانقلب الانسحاب إلى هزيمة منكرة، وخسائر كبيرة، فالارتداد المأمون أصعب من النصر في بعض المآزق[٧٣].

استطاع خالد بالشجاعة البالغة والبسالة العالية والتخطيط الصحيح وإتقان فن الحرب وعبقرية لا مثيل لها أن ينجح بهذا الجيش الصغير في الصمود أمام هذا السيل الجارف من الجيوش، فبرزت مهارة هذا القائد، فبحنكته

الذكية ومكيدته الحربية، استطاع أن يلقي الرعب في قلوب الأعداء، فانسحب المسلمون ولم يلحق بهم الروم(٧٤)، ولم يكن هذا الانسحاب بشكل فوضوي، وكان لهذا القرار من الصعوبة ما يفوق صعوبة النصر بالذات، فقطع التماس مع العدو أمر لم يكن بالبسيط بل احتاج إلى حنكة وذكاء جعلا من خالد بن الوليد قائداً بارزاً ومخططاً حكيما، ومن المؤرخين من شكّك بقتال خالد ليوم آخر إذ تعد مخاطرة تقضي على كل الجيش، ولكن نجد العكس وذلك لسبب بسيط جداً، وهو أنه لولا هذا الاشتباك لما استطاع خالد بن الوليد أن يخدع الروم بانسحابه، لأنّ المنهزم يتوقع له الانسحاب لا الاستمرار بالقتال، أضف إلى ذلك أن خالداً لو قام بالانسحاب من دون قتال في ذلك اليوم لكان من الممكن أن يحوّل انسحابه إلى هزيمة، وبذلك ضمن الأمان لجيشه الذي سينسحب، وحال دون القضاء عليه من قبل الروم الذين اعتقدوا أنها مكيدة ليلحقوا بهم إلى الصحراء انتظاراً لمدد، لذلك قرروا التريث وعدم متابعتهم واستطاع خالد بهذه الطريقة أن يعود بالمسلمين إلى المدينة وفي طريقهم إليها مروا على القرية التي اعتدى أهلها على المسلمين قبل أيام، ولا بد أنهم كرروا الاعتداء، ولذلك ضربوا الحصار عليها حتى دخلوها وقتلوا كثيراً من رجالها، في نقيع إلى جانب القرية فسمي ذلك المكان (نقيع الدم)(٧٥).

وفي تلك الأثناء صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فأمر المنادي أن ينادي بالصلاة جامعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ثاب خبر ثاب خبر ثاب خبر ألا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي، إنهم انطلقوا حتى لقوا العدو، لكن زيد أصيب شهيداً فاستغفروا له ثم أخذ اللواء جعفر فشد على القوم فقتل شهيداً أنا أشهد له بالشهادة فاستغفروا له ثم أخذ اللواء عبد الله ابن رواحة فأثبت قدميه حتى أصيب شهيداً فاستغفروا له ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم إصبعيه وقال اللهم هو سيف من سيوفك فانتصر به". فيومئذ سمي خالد بن الوليد سيف الله(٧٦).

ولما سمع أهل المدينة بجيش مؤتة قادماً تلقوه بالجرف، فجعل الناس يحثون التراب في وجوه الجيش ويقولون: يا فرار أفررتم من سبيل الله ؟، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليسوا بفرّار ولكنهم كرّار إن شاء الله!"(٧٧). وهنا تسرَّع أهل المدينة بالحكم على نتيجة المعركة، وظهرت حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم إذ وصفهم بالكرّار ويعني ذلك أنهم أدّوا ما طلب منهم، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم سينفذ الخطة التي رسمها لفتح بلاد الشام.

وبعد ذلك توجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أسماء بنت عميس الخثعمية، وكانت امرأة جعفر بن أبي طالب وأم ولده جميعاً إذ قالت:" دخل عليَّ رسول الله، ويدي في عجين، فقال يا أسماء أين ولدك؟ فأتيته بعبد الله ومحمد وعون، فأجلسهم جميعاً في حجره وضمهم إليه ومسح على رؤوسهم ودمعت عيناه فقلت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله! لمَ تفعل بولديَّ كما تفعل الأيتام؟ لعله بلغك عن جعفر شيء؟ فغلبته العبرة وقال: رحم الله جعفراً! فصحت: وويلاه واسيواه؟ فقال لا تدعي بويلٍ ولا حرب؟ وكلما قلت فأنت صادقة، فصحت: و اجعفراه!"(٧٨). وعندما استقبل صلى الله عليه وسلم أسرة زيد بن حارثة، ورأى بنتاً له تبكي بكى لبكائها، فقال له سعد بن عبادة:" يا رسول الله ما هذا!؟ فقال صلى الله عليه وسلم هذا شوق الحبيب إلى حبيبه، إنما هي عبرات

الصديق بفقد صديقه"[٧٩]. ولهذه الزيارة دلالة واضحة تتمثل بتكريم الإسلام لشهدائه ورعايته لذويهم، وحرص الرسول صلى الله عليه وسلم على رعايتهم.

نتيجة المعركة وأهميتها:

أظهرت المصادر والمراجع خلافاً كبيراً حول نتيجة المعركة أنصر للمسلمين هي أم هزيمة؟. وقد ظهر هذا الخلاف في البداية بين سكان المدينة على الرغم من أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم ير فيها إخفاقا لمشروعه، ولكنه وجد فيها الحافز القوي للاستمرار في الإطار ذاته. فتكون بذلك غزوة ذات السلاسل إحدى النتائج المباشرة لمؤتة، وحاملة دوافعها بصورة أكثر وضوحاً وربما استمراراً عسكرياً لها[80]. واستمر الخلاف بين المؤرخين، فمنهم من عده هزيمة، ومنهم من عده نصراً، ومنهم من ذهب إلى القول إنّ هذه المعركة لم تكن هزيمة لأي طرف، فقد ذكر ابن اسحق أنّ كل فئة انحازت عن الأخرى من غير هزيمة[81].

بعضهم قال إنّ المسلمين انتصروا ورجعوا ظافرين، غير أنه ظفر الجولة ونصر الحملة الصادقة، لا ظفر الميدان، ونصر الموقعة الحاسمة[٨٢]. وهي بالتأكيد لم تكن هزيمة، وما يؤكد ذلك قلة عدد الشهداء من المسلمين؛ فلو أنهم انهزموا لزاد العدد على هذا الرقم بكثير، كما أنها لم تكن نصر القتال إذ إنّ المسلمين تراجعوا ولم يكملوا القتال. ولكن تحليل المواقف يوضح أنها أقرب إلى النصر، فالنصر في هذه المعركة بالذات يأخذ أشكالاً أخرى بسبب ما تم فيها من أحداث، فالتكتيك الذي اتبعه القائد خالد بن الوليد في مواجهة هذا الجيش وهذه الظروف كان بحد ذاته نصراً على التكتيك البيزنطي الذي عجز عن تحقيق أية نتائج فعلية فيها على الرغم من تفوقهم العددي، فالانسحاب بحد ذاته أثبت تفوّق المسلمين في هذا المجال، وخير دليل على أن نتيجتها كانت نصراً وصف الرسول صلى الله عليه وسلم ما قام به خالد بن الوليد في الغزوة فتحاً[٨٣].

وقد ذهب بعضهم للحديث عن النتائج غير المباشرة، إذ إنّ المسلمين لم يحصلوا بها على الثأر، لكنها أثّرت في سمعة المسلمين، إذ إنها ألقت العرب كلهم في الدهشة والحيرة، فقد كان الروم أكبر وأعظم قوة على وجه الأرض، وكانت العرب تظن أنّ مواجهتها أمر مستحيل، فلما كان لقاء هذا الجيش الصغير ثلاثة آلاف مقاتل . مع ذلك الجيش الضخم العرمرم الكبير . ثم الرجوع من الغزو من غير أن تلحق بهم خسارة تذكر، فسقط الوهم الذي كان يعتقده الروم بأن العرب لا يمتلكون الجرأة على مواجهتهم أو التصدي لهم وأزالت حاجز الخوف من نفوس المسلمين من قوة الروم، وأظهرت قوة المسلمين للدول المحيطة بالجزيرة العربية فزعزعت ثقة عرب الشام بحلفائهم الروم.

ولذلك فالقبائل اللدودة التي كانت لا تزال تثور على المسلمين، جنحت بعد هذه المعركة إلى الإسلام، فأسلمت بنو سليح وأشجع، وغطفان، وذبيان، وفزارة، وكانت هذه المعركة بداية اللقاء مع الروم[٨٤].

وكان ذلك أول اشتباك جرى بين المسلمين وبين الغساسنة والروم، و أول تجربة حربية تجتازها الدولة العربية الإسلامية على مستوى دولي، كما أنها كانت تجربة دقيقة ومثيرة على المستويين السياسي والديني لدولة النبي الصاعدة، التي طرحت نفسها قوة جديدة، قادرة على حماية وجودها في وجه القوة التقليدية في مطلع القرن الأول الهجري السابع الميلادي، بل إنها رفعت المعنويات، وكانت البوابة الفعلية التي عبرت منها جيوش الفتح العربي الإسلامي المنظم إلى بلاد الشام.

على أن قريش عدت مؤتة ضعف لسلطان المسلمين، وبداية لسلسة من الهزائم، وعندئذ عزموا على إعادة الأمور إلى مثل ما كانت عليه قبل الحديبية، وذلك بنقض الصلح المذكور(٨٥).

وللمعركة أهمية لدى المسلمين، فقد رفعت معنوياتهم وحطّت من معنويات الروم وحلفائهم، إذ لوحظ إصرار من قبل المسلمين على القتال على الرغم من كل الظروف، فتكوّن على المدى البعيد مقاتل سعى طوعاً إلى الشهادة، وشكّل رافداً جديداً لتراث المسلمين في هذا المجال، كما شكل أداة التعبير الفاعلة في حركة الفتوح والتطورات الجذرية الممتدة مابين مؤتة ومعارك الفتوح الكبرى في العصر الراشدي، وهي بذلك خرجت من الطابع الثأري المتداول، وعدت خطوة طليعية في التاريخ العسكري للمسلمين خارج النطاق الحجازي.

كما شكّلت حافزاً متجدداً لهذه السياسة وبداية لجولات أخرى مع الروم، وهذه الجولات ستتم في ظروف أخرى وتنتهي بسقوط دولة الروم على أيدي المسلمين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن هنا لم يكن هرقل ليغفل عن ذلك الأثر الذي تركته المعركة في نفوس العرب الموالين للإمبراطورية والراغبين في الاستقلال عن قيصر، ورؤيته لبداية ميلانهم باتجاه المسلمين، وإنّ هذا يشكل خطراً يتقدم بخطى حثيثة إلى حدوده خطوة بعد خطوة، وينذر بحروب لاحقة تهدده من جهة الجنوب، فرأى ضرورة القضاء على قوة المسلمين أنفسهم حتى لا يثيروا القلاقل والثورات في المناطق العربية المجاورة للروم.

غزوة ذات السلاسل:

قلّت بعض القبائل التي كانت في شمال الجزيرة العربية من شأن المسلمين، وكان لابد إزاء هذه الحال أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم بعوثه إلى تلك القبائل لتأديبها حتى تعود للمسلمين هيبتهم، ففي أعقاب مؤتة سمع الرسول صلى الله عليه وسلم أن جمعاً من بليٍ و قضاعة والروم قد تجمّعوا ضد المسلمين يريدون الإغارة على أطراف مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم(٨٦)، فشعر بأمس الحاجة إلى القيام بحكمة بالغة توقع الفرقة بينها وبين الروم، وتكون سبباً للائتلاف بينها وبين المسلمين، حتى لا تحتشد هذه الجموع مرة أخرى(٨٧). كما أنه لابد من الضغط اقتصادياً لتمهيد السبيل لفتح مكة وذلك بالحصول على موارد قريش وإمكاناتها وطاقاتها وزيادة الضغط عليها من أجل التسليم ومن هنا كان لابد من حرب استباقية.

لذلك وفي شهر جمادى الآخرة من سنة /٨هـ / تشرين الأول /٦٢٩م / دعا عمرو بن العاص وكلفه بقيادة الحملة الهجومية الدفاعية التأديبية التي أمر بإعدادها، فاستجاب عمرو بن العاص لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا دليل على إخلاصه وقوة إيمانه وحرصه على ملازمة الرسول صلى الله عليه وسلم[٨٨].

وهنا لا بد من التساؤل الآتي: لماذا تمّ اختيار عمرو بن العاص دون غيره لقيادة هذه الحملة؟ ذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم حاول أن يستفيد من قرابة عمرو بن العاص لهذه القبائل وأراد أن يستميلهم؛ إذ إنّ أم العاص بنت وائل كانت قضاعية[٨٩]، بالإضافة إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم علم أن أخواله يطيعونه ولا يطيعون غيره للقرابة بينهم بالإضافة إلى أنه اشتهر بحسن سياسته وخبرته ودهائه وذكائه إذ كان من أدهى العرب، وكل هذا يفسر اعتماده على عمرو بن العاص. وفي ذلك إشارة إلى أن هذه الجموع لم تكن مجموعة للحرب وإنما كانت للدعوة واستمالة تلك القبائل. وما أكد ذلك العدد إذ إنها لم تكن أعداد جيش ذاهب لقتال، كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد بنى الرجال وأنشأ الجيل الأول على يديه، ومنهم عمرو ابن العاص الذي جاءت صياغته كاملة وبلغ مرحلة القيادة، فأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يسخّر هذه الطاقات في سبيل الله فكانت دعوته لعمرو بن العاص[٩٠]، إذ عقد له لواء أبيض وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ومعهم ثلاثون فرساً، فسار الليل وكمن النهار[٩١]، واقتصاره على السير ليلاً حقق له سلامة جيشه إذ أخفى تحركاته وجعلها سرية.

فلمّا اقترب منهم علم أنّ لهم جمعاً كثيراً فنزل قريباً منهم في منطقة ذات السلاسل وهي بأرض جذام[٩٢]، وراء وادي القرى[٩٣]، وكان الفصل شتاءً فجمع أصحابه الحطب ليشعلوه، فمنعهم من ذلك، حرصاً عليهم وعلى سلامتهم، وهذا الرأي أظهر طبيعة التربية الجديدة التي ظهر بها الجندي العربي، فعلى الرغم من كل التأويلات التي يمكن أن تظهر من رفض عمرو بن العاص لإشعال النار رغم شدة البرد وتوافر الحطب، إلا أنّ باقي القادة التزموا بأوامره ولم يخالفوها عملاً بالآية الكريمة:{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** }[٩٤]. فقد ثبت على رأيه وظهر الانضباط الكامل، وفي ذلك دلالة على خبرته القيادية وقدرته على مواجهة كل الظروف مهما زادت في صعوبتها. وبعث رافع بن مكيث الجهني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب المدد، واختياره لم يكن عفوياً بل كان لأسباب، فرافع بن مكيث جهني وهذه ديار جذام وقريبة لديار جهينة وطريقهما واحد إلى المدينة، وبالتالي فإنه يعرف المنطقة جيداً، بالإضافة إلى خبرة رافع في الصحراء وكفاءته الذاتية، ولهذا السبب كانت سرعته فائقة في الذهاب والعودة بالمدد[٩٥]. فأرسل له مائتي جندي بقيادة أبي عبيدة بن الجراح ومن بينهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فأمره أن يكونا جمعاً ولا يختلفا[٩٦]، فأصبح العدد خمسمائة وهذا العدد يدل على أن عمرو لم يستطع أن يجتذب إلى جيشه أحداً من القبائل التي مر بها حتى أخواله[٩٧].

وبوصول أبي عبيدة بن الجراح برزت مشكلة جديدة وهي لمن تكون القيادة فكان لكل واحد حجته ومسوغاته، إذ قال له عمرو بن العاص:" إنما جئت مدداً لي". وكأنه يقول له أنّ المدد إنما يكون تحت قيادة القائد الذي

طلبه، فرد عليه أبو عبيدة وقال:" لا، ولكني على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه". فرفض عمرو ذلك، وهنا برزت حكمة أبي عبيدة الذي قال:" يا عمرو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي، لا تختلفا، وإنك إن عصيتني أطعتك". قال فإني الأمير عليك، وأنت مدد لي، قال فدونك. فصلّى عمرو بالناس(٩٨)، وبذلك أدرك أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه أن أي اختلاف بين المسلمين في سرية ذات السلاسل يؤدي إلى الأخفاق، وبالتالي انتصار العدو، لذلك سارع إلى قطع النزاع وعدّ نفسه جندياً تحت إمرة عمرو بن العاص امتثالاً لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم "لا تختلفا". قال تعالى:{**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** }(٩٩). وبهذا التنازل من قبل أبي عبيدة تلقى درساً عظيماً في التربية من الرعيل الأول.

فسار جيش المسلين حتى وصل إلى أقصى بلاد بلى وعذرة وبلقين ولقي في آخر ذلك جمعاً ليس بالكثير، فقامت بينهم معركة استخدموا من خلالها النبل وأصيب ذراع عامر بن ربيعة بسهم يومها، وانتصر المسلمون في هذه المواجهة ولم يترك عمرو بن العاص جمعاً إلا وتبعه. وجلب الخيالة المؤن من النواحي التي انتشروا فيها(١٠٠). وبهذا الإجراء أمّن الجيش كل مستلزماته من المؤن فيما حصل عليه من الشاة والنعم؛ مما كان له أكبر الأثر في زيادة قوة المسلمين وإضعاف المشركين.

وأرسل عمرو بن العاص عوف بن مالك الأشجعي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يخبره بما أنجزوه(١٠١)، ووصل والرسول صلى الله عليه وسلم يصلي في بيته(١٠٢). وممّا يُذكر عن عوف ابن مالك الأشجعي أنه مر على قومٍ بأيديهم جزور قد عجزوا عن عملها، فعملها عوف مقابل جزء منها، فأكل وأكل معه كل من أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وسألاه بعد ذلك عن مصدر ذلك اللحم، فأعلمهم مصدره، فقاما يتقيآن(١٠٣)، وفي ذلك دلالة على الأثر العميق لتعاليم الدين الجديد في نفوس المسلمين، إذ ابتعدوا عن كل ما يقع فيه شبهة.

وعندما عاد عمرو بن العاص توجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بسؤال عن أحب الناس إليه ظناً منه أن له مكانة لديه بعد أن عينه قائداً لجيش فيه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. فكان جواب محمد صلى الله عليه وسلم عائشة ثم أبي بكر ..... وبذلك خالف توقعاته(١٠٤).

وبعد ذلك شكا الجند عمرو بن العاص إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بسبب عدم سماحه لهم بإشعال النار فرد عمرو بن العاص بأنه كان يخشى أن يرى عدوهم قلتهم فيتبعوهم(١٠٥)، فأيده الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك. وبذلك نجحت هذه الغزوة في تحقيق أهدافها في تمزيق هذا التحالف وتفريق هذه الجموع فكان الهجوم خير وسيلة للدفاع، فحمى المدينة من هجوم كان شبه مؤكد، وجاء بمثابة إعلان بأن موازين القوى قد تغيرت، وصحّحت بنتائجها الإيجابية الوضع الذي كان سائداً في شبه الجزيرة، وقضت على كل أمل لدى قريش من محاولة استثمار ما عدّوه هزيمة في مؤتة، ممّا كان له أكبر الأثر في الانتصارات التي حققها المسلمون في داخل الحجاز على قريش، كما اكتسبت هذه الغزوة أهمية خاصة من أهمية جيشها فقد ضم جيش عمرو بن العاص خيرة الأنصار ومنهم سعد بن معاذ بن بشر وأسيد بن خضير(١٠٦)، وعدد من المهاجرين ومنهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيد بن الجراح، إذ إنّ هذا الجمع لم يجتمع إلا تحت راية الرسول صلى الله

عليه وسلم في الغزوات التي كان يقودها، ولذلك دلالة واضحة تمثّلت بمدى أهمية الشخص الذي قدمه الرسول صلى الله عليه وسلم على هؤلاء القادة الكبار وعبقريته. كما ظهرت ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم به على الرغم من وجود من هو أقدم منه في الإسلام ومن هو أكثر خبرة في هذا المجال، وهذا لا يعني أنّ موازين الرجال قد تغيّرت واختلت، وإنما كانت هذه الإجراءات بمثابة المدرسة الجديدة التي ضمت أقدم رجال المسلمين وأبرزهم ليعملوا على تخريج هذا الجيل المؤمن والواثق بعدالة رسالته الإسلامية وعالميتها.

غزوة تبوك(٩هـ/ ٦٣١م):

حاولت بيزنطة بعد مؤتة أن تفرض الحصار الاقتصادي على الحجاز لأن محمداً صلى الله عليه وسلم الذي أراد أن يجعل المدينة مركزاً اقتصادياً وسياسياً وإدارياً لا يُستبعد أنه وجه المسلمين إلى خليج العقبة للاستيراد فقامت بيزنطة بإغلاقه، لذا قاد الرسول صلى الله عليه وسلم بعد مؤتة وذات السلاسل وفتح مكة المسلمين لكسر هذا الحصار[١٠٧]، وكذلك انتصر على تحالف تألف من بطون هوازن وثقيف وغيرها من القبائل في غزوة حنين والطائف، فانقلبت الموازين تماماً وأصبح الإسلام قوة يحسب حسابها، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وبذلك متن الرسول صلى الله عليه وسلم جبهته الداخلية، فعاد ووجّه عدة غزوات وصلت حتى حدود الشام قبل أن يقود بنفسه الغزوة الأخيرة التي عرفت بغزوة تبوك والتي كانت استكمالاً للغزوة التي سبقتها غزوة ذات السلاسل إلا أنها كانت أكبر عدداً وعدة؛ والسبب فيها ما نقله الساقطة إلى المدينة من أخبار عن الشام، ومضمونها أن الروم جمعت جموعاً كثيرة بالشام، وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة كاملة، وعسكروا مع لخم وجذام وغسان وعاملة في البلقاء[١٠٨].

وطبعاً لم يكن معروفاً مدى صدقهم، وغايتهم من نقل هذه الأخبار. وقد ذكرت أسباب عدة لهذه الغزوة إلا أنّ الزمن الذي تمّت فيه الغزوة يثبت أنّ تجمع الروم هو السبب الأقرب إلى الواقع.

حيث وجد الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه أمام خيارين لرد هذه الجموع؛ إما تركهم يداهمون الإسلام والمسلمين في عقر دارهم[١٠٩]، وبذلك يكون قد خسر المسلمون الكثير من المكاسب التي حقّقوها، أو مفاجئة الأعداء في مكان تجمعهم فتكون حرب وقائية. فأخذ بالخيار الثاني وذلك لعدة أسباب منها: إظهار قوة المسلمين وعزّتهم وحرص النبي صلى الله عليه وسلم على عدم اقترابهم من المسجد الحرام.

ويمكن إضافة سبب آخر تمثّل باستجابة طبيعية لفريضة الجهاد حيث يصبح الجهاد فريضة سادسة على كل مسلم قادر على حمل السلاح عند تعرض ديار الإسلام للخطر عملاً بالآية القرآنية الكريمة:{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** }[١١٠]. وقد رأى الرسول صلى الله عليه وسلم أن تحرك الروم في أرض العرب يعني انحسار الانتصار الذي أحرزه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة وحنين والطائف وخيبر، مما كان له أثر في بث الرعب في قلوب العرب، وبالتالي تغيير لصورة القوة التي ظهر بها الجيش الإسلامي.

ولم يعتد الرسول صلى الله عليه وسلم الإفصاح عن وجهته إلا أنه في هذه الغزوة أعلن عنها(١١١)، وذلك لشدة الحر وبعد الطريق وقوة العدو(١١٢)، فالزمان زمان حر وعسرة في الزاد والمال(١١٣)، ففي الأيام التي يولي فيها الصيف وقبل أن يبدأ الخريف، ترتفع الحرارة بعد أن تكون الأرض قد اختزنت حرارة الشمس طوال شهور الصيف، فتصبح رمال الصحراء كقطع من الجمر، ومن هنا تزداد الحاجة إلى الماء، بالإضافة إلى أن الطريق الذي سيسلكونه في منطقة صحراوية قليلة الماء والنبات؛ ولهذا السبب قوبل الاستنفار بفتور من المنافقين وتثاقل من بعض الصحابة(١١٤)، كما أن كثرة عدد الروم وخبرتهم وحداثة أسلحتهم تتطلب إعداداً خاصاً، ومن هنا لابد من الإعلان عن الوجهة ليتجهّز الناس بالعتاد والمؤن الكافية ولكي لا ينقص عليهم شيء، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يدل هذا الإعلان على أن الإسلام فرض قوته ووجوده في كل أنحاء الجزيرة ووصل إلى درجة كبيرة من الثقة بهذه القوة وعدم مبالاته بأعداء دعوته، بالإضافة إلى أن موقف القوة هذا يلقي الذعر في قلوب الأعداء. كما أنه لم يعد هناك مجال للكتمان في هذا الوقت، إذ لم يبق في جزيرة العرب قوة معادية لها خطرها تستدعي هذا الحشد الضخم سوى الروم ونصارى العرب الموالين لهم في منطقة تبوك و دومة الجندل والعقبة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القبائل وإلى مكة يستنفرهم ويحضهم على القتال والجهاد(١١٥)، وحضّ أهل الغنى على النفقة، فتسابق المسلمون في إنفاق المال وبذل الصدقات، وتبرع عثمان ابن عفان بألف دينار وألف بعير وسبعين فرساً (١١٦)، وتبرع أبو بكر رضي الله عنه بماله كله أربعة آلاف درهم، وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله، وحمل العباس بن عبد المطلب وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف مالاً وتبرعوا(١١٧)، ويفسر لنا هذا طبيعة الحرب في الإسلام فهي ليست للاعتداء وإنما للدفاع عن الدين والبلاد.

أضف إلى ذلك أنّ إنفاق الصحابة هذا يظهر فلسفة رائعة في الغنى وتضحية لا مثيل لها في سبيل إعلاء كلمة الله، فالمال كله لله وينفق في سبيله(١١٨).

وتجمّع لدى الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثون ألفاً، ولهذا العدد في تلك الظروف دلالته الواضحة والتي تمثّلت في استجابة المؤمنين لمتطلبات المرحلة ولو كانت الظروف لا تسمح بذلك، كما أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم طبّق لأول مرة مبدأ الحرب الشاملة إذ عبّأ كل قادر على حمل السلاح، وكانت الإبل اثني عشر ألفاً والخيل عشرة آلاف واستخلف على المدينة محمد ابن مسلمة ويقال سباع بن عرفطة، وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب على أهله(١١٩). وكانت الغزوة في شهر رجب يوم الخميس في سنة (٩هـ/٦٣٠م)(١٢٠) وهي آخر غزواته، وقد تعددت أسماء هذه الغزوة فسميت بتبوك المنطقة الواقعة منتصف الطريق من المدينة إلى دمشق.

وسميت كذلك بالفاضحة لافتضاح أمر المنافقين فيها(١٢١)، وكشفهم عن أساليبهم العدائية الماكرة وأحقادهم الدفينة ونفوسهم الخبيثة، وعرفت بغزوة العسرة لعسرة النفقة والماء والطعام(١٢٢). فقد قال الله سبحانه وتعالى:

لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ }[١٢٣].

ولما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك تخلّف عدد من الرجال فقالوا: يا رسول الله، تخلف فلان، فيقول دعوه إن يكُ فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يكُ غير كذلك فقد أراحكم الله منه[١٢٤]. وكان الدليل في السير إلى تبوك علقمة بن الفغواء الخزاعي منطلقاً من ثنية الوداع ، وعندما وصلوا وادي القرى، لم يجد المسلمون أيّاً من الحشود التي أخبر بها الساقطة الأنباط، وهنا لابد من التساؤل، ما غاية الأنباط من تزييف الأخبار؟ وهل قصدوا ذلك؟ أم أنّ مصادر الأنباط لم تكن موثوقة إذ إنّهم سمعوا ولم يشاهدوا.

أم هل علم الروم أنّ الأنباط ينقلون الأخبار للمسلمين؟ فزيّفوها بغاية تقدير قوة المسلمين التي بدأت تظهر وتتطوّر بشكل سريع، وتقلق القوة المعاصرة؟. أم إن الروم انسحبوا لمّا رأوا ضخامة جيش المسلمين؟.

على الرغم من مكث الجيش النبوي لأيام في تبوك إلا أنّ القيادة البيزنطية في الشام لم تفكر مطلقاً بالدخول معه في قتال، وعلّل بعضهم سبب عدم مجيء الروم لمواجهة المسلمين بأن الروم قد أدركوا أنّ وجهة المسلمين هي بلاد الشام، لذلك أرادوا استدراجهم إلى هناك لمواجهتهم بجيش يحقق الانتصار الأكيد، إلا أنّ المسلمين خالفوا التوقعات ولم يستمروا بالمسير[١٢٥]. وآثرت القبائل العربية المتنصرة السكون، أمّا حكام المدن المتواجدون في أطراف الشام فقد آثروا الصلح، فقد صالح يوحنة بن رؤبة صاحب آيلة[١٢٦] على الجزية ومقدارها ثلاثمائة دينار، وصالح أهل أذرح على مائة دينار في كل رجب، و صالح أهل جرباء وأهل مقنا على ربع ثمارهم[١٢٧]. ومن خلال هذه المعاهدات تمكّن الرسول صلى الله عليه وسلم من تأمين حدود الدولة الإسلامية من جهة الشمال وشلّ كل حركة لتلك القبائل وحررها من تبعيتها للروم.

ثم أرسل المصطفى صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى أكيدر حاكم دومة الجندل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد إنك ستجده يصيد البقر فوجده كذلك فعاد به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحقن دمه وصالحه على الجزية ثم أخلى سبيله[١٢٨]. وظهرت هنا نبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم مرة أخرى والتي قادت إلى كشف الكثير من الأمور وحسم الكثير من الأحداث.

وشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في التقدم شمالاً وذلك لعدم مواجهتهم لأي عدو، فرد عمر قائلاً : إن كنت أُمِرْتَ بالمسير فسر! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لو أمرت به ما استشرتكم به!". فقرّروا العودة إلى المدينة[١٢٩]. لأنّ التقدم إلى الشام كان يحمل في طياته خطورة على المسلمين؛ بسبب كثرة جموع الروم ولم تكن هناك خطورة في عدم التقدم حيث لم تظهر بوادر تشير إلى زحف الروم نحو الحجاز[١٣٠].

وفي طريق العودة همّ اثنا عشر رجلاً من المنافقين بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك حينما مر ببطن الوادي في العقبة، فهجموا على الرسول وهم متلثمون، عند ذلك بعث الرسول صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان الذي كان يقود ناقة الرسول فضرب وجوه رواحلهم بمحجن كان معه، فأرعبهم الله، فأسرعوا في الفرار وأخفق مخططهم[١٣١]، وعاد الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يحدث أي قتال إلا أن ما حققه فيها قد تعجز عنه

المعارك نفسها، إذ كانت تطبيقاً رائعاً لإستراتيجية الهجوم غير المباشر التي طبقها الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه ربح المعركة بالمناورة لا بالقتال، وكانت بمثابة فن الانتصار من دون حرب بل وكانت تطبيقاً لحرب إعلامية لم يألفها المسلمون سالفاً، وحرباً وقائية في الوقت ذاته لحماية المسلمين من خطر كان يتهددهم، فكانت نتائجها على صعيدين؛ فعلى الصعيد الخارجي امتدت حدود سيادة الإسلام إلى شمال أذرح الواقعة على بعد عشرين كيلو متراً إلى الشمال الغربي من معان(١٣٢)، وأصبح للمسلمين حلفاء على حدودهم الشمالية وذلك بعد انسحاب الروم شمالاً بعد أن أيقنوا أنه لا فائدة من حلفاء الأمس، فقامت بينهم وبين المسلمين معاهدات فتوطد سلطان المسلمين فيها، مما كان يعني نهاية التواجد الرومي على الخط الشمالي للجزيرة العربية، الذي أصبح مركز انطلاق في حروب المسلمين القادمة مع الروم، بالإضافة إلى دراسة الأرض ومعرفة ميزاتها للتقدم و التحشد والهجوم فجمعوا المعلومات الكافية عن تنظيم وتشكيلات جيش الروم وتجهيزاته ونوايا ومعنويات أفراده ونقاط القوة والضعف لديه من خلال سكان تلك البلاد(١٣٣)، فكانت إيذاناً بفتح الشام وشكلت أول خطواته العملية، كما أنها أظهرت القوة التي سعى الروم للكشف عن مداها وحدودها، وتم إسقاط هيبة الروم وقوتهم التي ترسّخت لدى العرب، كما أنها كشفت عن ماهية العلاقة بين الروم والعرب القاطنين في بلاد الشام قبل الإسلام التي امتازت بالسوء، فكان لذلك أثره في الإصرار على فتح الشام.

أما على الصعيد الداخلي، فقد امتحن الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين امتحاناً شديداً لصدق الإيمان وإخلاص اليقين في وقت العسر، فكان منهم من يسرع بالصدقة ومنهم من لا يسرع، فميز بين الصادقين والمنافقين(١٣٤)، إذ إنّ الأمم لا تنهض إلا بتطهير صفوفها من المنافقين، فتخلّص جيش العسرة من أمثال هؤلاء الرجال وافتضح أمرهم، وكشف عن نواياهم، واستبقى فقط الصادقين في الإيمان والعهد ولو كانوا قليلو العدد إلا أنهم أقدر على اكتساب النصر:{ **كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** }(١٣٥). فظهرت روعة التربية الإسلامية وتشوق الجيل الذي رباه محمد صلى الله عليه وسلم لتحمل المشاق والصعاب في سبيل الله(١٣٦)، وظهر أثر الإيمان في نفوس المؤمنين الذين سارعوا لتلبية النداء سواء في التبرع أم في الانضمام للجيش العربي الإسلامي، إذ إنّ الصادقين الفقراء جاؤوا رسول الله يبكون ويطلبون ما يحملهم عليه إخلاصاً لدين الله وحباً بالجهاد لنصرة دين الله ونشر دعوته على قدر استطاعتهم، فما أعظم هذه التربية .. وما مصير أمة احتوت على هكذا نموذجاً من الرجال..؟ فكانت تجربة كبيرة لمستقبل التعبئة النفسية والاستعداد العسكري لحروب الفتح المقبلة(١٣٧).

كما أنها بسطت نفوذ المسلمين وقوتهم على جزيرة العرب، فقد تبين للناس أنه ليس لأي قوة القدرة على العيش بين العرب سوى قوة الإسلام، التي كان شعارها تحرير الإنسان بعكس القوة التي عاصرتها، فتوحّدت الجزيرة تحت قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتمّ القضاء على بقايا أمل كان يتحرك في قلوب بقايا المنافقين، الذين عقدوا آمالهم على الروم فاستكانوا بعد هذه الغزوة واستسلموا للأمر الواقع، وبلغ التوافد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هذه الغزوة درجة كبيرة، وانتهى تردد المتخلّفين من القبائل العربية عن الالتحاق

بالدين الجديد، وعليه فإن تبوك تعني نهاية حالة الحرب مع العرب وطهارة أرض العرب من حكم غير المسلمين لتبدأ على جهات خارجية، وارتفعت المعنويات لدى المسلمين، كما أنّها كانت تدريبية واختباراً بكل معنى الكلمة، فلم يقتصر التدريب فيها على القتال وإنما كذلك على السير الطويل وتحمّل المشاق.

وأخيراً تميّزت هذه الغزوة عن غيرها من الغزوات بأن ذكرها في القرآن شمل أحداثها بالتفصيل، بل كانت سورة بأكملها تخصّ هذه الغزوة وهي سورة التوبة، إذ ظهر فيها الحث على الجهاد قال تعالى:{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** }(١٣٨). كما كشف القرآن الكريم في هذه الغزوة بعض الحقائق التي تخص المنافقين قال تعالى:{ **لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** }(١٣٩). قال تعالى:{ **لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ** }(١٤٠).

خاتمة:

وبهذه الغزوة انتهت الغزوات النبوية والسرايا التي توجهت إلى بلاد الشام والتي إما كانت بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم أو بتكليف منه وحققت الأهداف التي سعى إلى تحقيقها، فقد حمى دولة الإسلام من القبائل العربية التي عاشت ضمنها، وبذلك متّن جبهته الداخلية قبل أن يبدأ بنشاطه الخارجي، و حماها من الدول والإمبراطوريات المحيطة التي كثيراً ما حاولت القضاء عليها.

ومن خلال مقارنة تلك الغزوات مع بعضها بعضاً يظهر لنا التزايد المطرد لقوة المسلمين في كل النواحي، وكانت كل غزوة بمثابة التمهيد بل القاعدة التي تستند إليها الغزوة التي تليها ذات العدد والعدة الأكبر والأضخم، كما أنّ هذه الغزوات أفرزت مدرسة نبوية لتخريج القيادات التي استطاعت فيما بعد الانتصار على الروم والفرس وغيرهم الذين جعلوا من بلاد الشام ميداناً للصراع بينهما.

وظهر من خلال هذا البحث أهمية بلاد الشام بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم والتي رأى فيها البوابة الأولى التي تؤدي إلى كل المناطق سواء الشرقية في العراق وفارس، أم الشمالية باتجاه القسطنطينية، أم باتجاه مصر وشمال أفريقيا

الهوامش

١ . البيهقي:(أبو بكر أحمد بن الحسين ت٤٥٨هـ / ١٠٦٦م)، دلائل النبوة، دار الكتب العالمية، بيروت، ١٩٥٨م، ج٣، ص٣٨٩،٣٩٠،٣٩١

٢ . أبو الفداء:(عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، ج١، ص٦٤

٣ . الشجاع: (عبد الرحمن)، دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، دار الفكر المعاصر، صنعاء، ١٤١٩هـ . ١٩٩٩م، ص١٤٥

٤ . البخيت وعباس: (محمد عدنان، إحسان)، بلاد الشام في صدر الإسلام، الندوة الثانية من أعمال المؤتمر الرابع لبلاد الشام، مطبعة الجامعة الأردنية، ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م، ص١٢١

٥ . سالم: (عبد الرحمن)، المسلمون والروم في عصر النبوة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ . ١٩٩٧م ، ص٦٩

٦ . سالم: المرجع نفسه، ص٦٢

٧ . الواقدي، (محمد بن عمر ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م)، المغازي، تحقيق مارسدن جونس، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت ، ج١، ص٤٠٣،٤٠٤ . بن عبد البر:(الحافظ يوسف النمري ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)، الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ص١٦٨ . ابن الجوزي:(أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ . ١٩٩٢م، ط١، ج٣، ص٢١٥ . ابن العبري:(أبي الفرج بن اهرون ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)، تاريخ مختصر الدول، صححه الأب انطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد، لبنان، ١٤١٥هـ . ١٩٩٤م، ط٢، ص١٦١

٨ . الواقدي: المغازي، ج٢، ص٥٦٠،٥٦١ . ابن عساكر:(ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله ت٥٧١هـ / ١١٧٥م)، التاريخ الكبير، تصحيح عبد القادر افندي بدران، مطبعة روضة الشام، ١٣٢٩هـ، م١، ص٩٠ . ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج٢، ص٥٤

٩ . البيطار: (عزت)، الرسول العربي محمد بن عبد الله والإمبراطور هرقل، ١٣٥٠هـ . ١٩٣١م، بدون ، ص١٠،١١

١٠ . طنطاوي:(محمد سيد)، السرايا الحربية في العهد النبوي، الزهراء للإعلام العربي، ١٤١٠هـ . ١٩٩٠م،ص٩٣

١١ . سالم: المسلمون ، ص٦٨

١٢ . الواقدي: المغازي، ج٢، ص٢٢٢

١٣ . ابن الأثير:(عز الدين أبي الحسن علي بن محمد ت٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م، ط٢، ج٢، ١٠٨ . الديار بكري: :(حسن بن محمد بن الحسين ت٩٦٦هـ / ١٥٥٨م)، تاريخ الخميس في أنفس نفيس، مؤسسة شعبان، بيروت، ١٩٧٠م، ج٢، ص٧٠ . العسلي:(بسام)، فن الحرب، دار الفكر، ١٣٩٤هـ . ١٩٧٤م، ط١، ص٨٩

١٤ . كالواقدي وابن هشام وابن سعد والطبري

١٥ . الدياربكري: تاريخ الخميس، ج٢، ص٢٩

١٦ . ابن شهاب الزهري:(محمد بن مسلم بن عبيد الله ١٢٤هـ / ٧٤١م)، المغازي النبوية، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠هـ . ١٩٨٠م، ط١، ص٥ . ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص٩١ . ابن سيد الناس: (فتح الدين أبو الفتوح محمد بن محمد ت

٧٣٤هـ / ١٣٣٣م)، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤م، ط٢، ج٢، ص٢٦٠ . الديار بكري: تاريخ الخميس، ج٢، ص٣١

١٧ . وقيل أن اسم هرقل قيصر وقيل أغسطس، وقيصر كلمة إفرنجية معناه شق عنه، وسببه على ما قال المؤرخون أن أم قيصر ماتت في المخاض فشق بطنها وأخرج فسمي"قيصر" وكان يفخر بذلك على الملوك ويقول انه لم يخرج من رحم امرأة ثم وضع هذا اللقب لكل ملك من الروم(الدياربكري: تاريخ الخميس، ج٢، ص٣١)

١٨ . اليعقوبي:(أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، م٢، ج٢، ص٦٢

١٩ . سالم: المسلمون، ص٧٧

٢٠ . الدياربكري: تاريخ الخميس، ج٢، ص٣٧

٢١ . ابن هشام: (أبي عبد الملك بن هشام المعافري الحميري ت ٢١٣هـ / ٨٢٨م)

السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٧٥هـ . ١٩٥٥م، ق٢، ص٦٠٧

٢٢ . العيني:(بدر محمود بن أحمد ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م)، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تحقيق فهيم محمد شلتوت، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٢٢

٢٣ . الحيدر آبادي: (محمد حميد الله)، مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، القاهرة، ١٩٤١م ، ص٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٨

٢٤ . ابن سعد: (أبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م ، ج١، ص٢٧٠،٢٧٩، ٢٨٠

٢٥ . سالم: المسلمون، ص٧٥

٢٦ . سورة آل عمران، الآية(٦٤)

٢٧ . Vasiliev:(A.A), History of The Byzantine Empire, Wisconsin,1952،P،211

٢٨ . Groune baun:(G.E.von), classical Islam, ahistory 600_ 1258London,1970، P. 42

٢٩ سالم: المسلمون ، ص٨١

٣٠ . سورة سبأ، الآية(٢٨)

٣١ . ابن سعد: الطبقات، ج١، ص٣٧٩. ٣٧٠ . اليعقوبي: تاريخ، م٢، ص٨٣

٣٢ . الحيدر آبادي: مجموعة الوثائق، ص٢٦ وما يليها.

٣٣ . الساقطة: إسقاط جمع الساقط ما يحملونه من التمر. وأيضاً تسقطت الخبر إذ أخذته قليلاً قليلاً شيئاً بعد شيء. ومن هنا أن الساقطة هم أناس يعملون إما بالتجارة أو في تسقط الأخبار. وكلا المعنيين ينطبق على الأنباط . حمارنة: (صالح)، الناس والأرض، دار الينابيع للنشر، عمان، الأردن، ١٩٩١م ، ص٩

٣٤ . مؤتة موضع من أرض الشام من عمل البلقاء وتقع شرق البحر الميت إلى الجنوب من الكرك ب/١١كم/. اشتهرت بصناعتها للسيوف المعروفة بالمشرفية، دون أن يكون واضحاً إذا ما كان لهذه التسمية علاقة بمشارف القرية المجاورة لها، أو أنها عائدة إلى موقعها الجغرافي على مشارف الشام. وكان اللقاء فيها في البداية ثم انحاز المسلمون إلى مؤتة.(البكري: (أبي عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)، معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة، ١٩٤٥م، ج١، ص٣١٩ . القزويني: (زكريا

بن محمد بن محمود ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٣٨٩هـ. ١٩٦٩م ، ص٢٧٥ .
سعيد: (أمين)، حروب الإسلام والإمبراطورية الرومية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر ، ص٤٦)
٣٥ . الدياربكري والمسعودي وابن عساكر وابن الأثير وابن العماد الحنبلي
٣٦ . بيضون:(إبراهيم)، تاريخ بلاد الشام إشكالية الموقع والحدود، دار المنتخب العربي للدراسات، ص١١٣
٣٧ . الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام.(الحموي: معجم، ج٢، ص١٢٨) الواقدي: المغازي، ج٢، ص٧٥٥. ابن سعد: الطبقات، ج٢، ص١٢٨ . ابن عساكر: (ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله ت٥٧١هـ / ١١٧٥م)،
التاريخ الكبير، تصحيح عبد القادر أفندي بدران، مطبعة روضة الشام، ١٣٢٩هـ ، م١، ص٩٣ .. ابن سيد الناس: عيون الأثر، ص١٥٣
٣٨ . الطبري: (أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٢، ج٣، ص١٠٣ . البيهقي: دلائل، ج٣، ص٣٢٣
٣٩ . أبو خليل:(شوقي)، في التاريخ الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ١٤١٢هـ. ١٩٩١م، ط١، ص١٥٢
٤٠ . بيضون: (إبراهيم)، تاريخ بلاد الشام إشكالية الموقع والحدود، دار المنتخب العربي للدراسات ، ص١٠٣
٤١ . الحموي: (ياقوت بن عبد الله ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت ، ج٥، ص١٣١
٤٢ . العقاد:(عباس محمود)، العبقريات العسكرية، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٨م،ط٢، ص٨٠٣
٤٣ . ابن سعد: الطبقات، ج٢، ص١٢٨.. ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص١٥٣ . ابن سيد الناس: عيون الأثير، ج٢، ص١٥٣ . الدياربكري: تاريخ الخميس، ج٢، ص٧٠
٤٤ . دسوقي: (محمد عزت)، القبائل العربية في بلاد الشام من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الأموي، الهيئة المصرية للكتب، ١٩٩٨م ، ص٨٤
٤٥ . ابن الأثير: (عز الدين أبي الحسن علي بن محمد ت٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، أسد الغابة، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ. ١٩٨٩م ، ج٢، ص٢٢٤ . غلوب:(جون باغوت)، الفتوحات العربية الكبرى، ترجمة خيري حمادة، بدون مكان وتاريخ ورقم الطباعة، ص١٣٣
٤٦ . الواقدي: المغازي، ج٢، ص٧٥٦. ابن عبد البر: (الحافظ يوسف النمري ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)، الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ص٢٠٩ . ابن عساكر: التاريخ الكبير، م١، ص٩٢. الذهبي:(شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ / ١٣٧٤م)، تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين، تحقيق عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٧هـ. ١٩٨٧م، ص٤٨٠
٤٧ . خريسات، النابودة:(محمد عبد القادر، حسن محمد)، صاحب الخبر، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الأمارات العربية المتحدة، ١٤٢٤هـ. ٢٠٠٣م، ص٥٩
٤٨ . سورة مريم، الآية(٧١).
٤٩ . ابن عساكر: التاريخ الكبير، م١، ص٩٢ . ابن سبد الناس: عيون ، ج٢، ص١٥٣ . الديار بكري: تاريخ، ج٢، ٧٠
٥٠ . ذات قرع: يريد واسعة. والزبد: ما يعلوا الدم الذي يتفجر من الطعنة.
٥١ . مجهزة: سريعة القتل
٥٢ . الجدث: القبر
٥٣ . ثنية الوداع: ثنية مشرفة على المدينة(الحموي: معجم، ج١، ص٤٥٦)

٥٤ . الواقدي: المغازي، ج٢، ص٧٥٧، ٧٥٨

٥٥ . عباس: (إحسان)، تاريخ بلاد الشام، عمان، ١٤١٠هـ . ١٩٩٠م، ص٢٠٨، ٢٠٩

٥٦ . Turtledove:(Harry), the chronicle of theophanes, University of Pennsylvania press Philadelphia,1982, p. 36

٥٧ . سعيد: حروب الإسلام، ص٤٨

٥٨ . كثكث: إلى الجنوب من مؤتة(الواقدي: المغازي، ج٣، ص١١٢٤)

٥٩ . ابن عساكر: التاريخ الكبير، م١، ص٩٨

٦٠ . الواقدي: المغازي، ج٢، ص٧٦٠ الديار بكري: تاريخ، ج٢، ص٧١

٦١ . القين: وردت هكذا عند الدياربكري والصحيح بلقين(الواقدي: المغازي، ج٢، ص٧٧١ . ابن عساكر: تاريخ ، ج٢، ص٢٣)

٦٢ . ابن هشام: السيرة ، ج٢، ص٣٧٥ . ابن سعد: الطبقات، ج٢، ص١٢٨.. ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص١٥٣ . ابن سيد الناس: عيون، ج٢، ص١٥٣ . الدياربكري: تاريخ الخميس، ج٢، ص٧٠

٦٣ . ابن هشام: السيرة، ج٣، ص٢٤٤. ٣٠٢. ٣٤٢

٦٤ . سعيد: حروب الإسلام، ص٤٩

٦٥ . ابن هشام: السيرة ، ق٢، ص٣٧٥ . ابن عبد البر: الدرر، ص٢٠٩ . ابن الأثير: الكامل، ج٢، ١١٢

٦٦ . ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص١٥٩ . البخيت:(عبد الحميد)، ظهور الإسلام وسيادة مبادئه، مكتبة الأنجلو المصرية، ص٣٢٣

٦٧ . عباس: تاريخ بلاد الشام، ص٢٠٥

٦٨ . أبن عساكر: (ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله ت٥٧١هـ / ١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق علي شيري، دار الفكر، دمشق، م١، ص٩٦ . ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص١١٢ . ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج٢، ص٥٤ . الدياربكري: تاريخ الخميس، ج٢، ص٧١

٦٩ . ابن حنبل:(أبو عبد الله أحمد بن محمد ت٢٤١هـ / ٨٥٥م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار الفكر، بيروت، ج٤، ص٩٥ . المقدسي:(مطهر طاهر المقدسي ت٥٠٧هـ / ١١١٣م)، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج٤، ص٢٣١

٧٠ . ابن عبد البر: الدرر، ص٢١٠ . ابن عساكر: التاريخ الكبير، م١، ص٩٤ . الدياربكري: تاريخ الخميس، ج٢، ص٧١

٧١ . الواقدي: المغازي، ج٢، ص٧٦٣ . ابن عساكر: تاريخ ، م١، ص٩٦

٧٢ . الواقدي: المغازي، ج٢، ص٧٦٣، ٧٦٤ . ابن عساكر: التاريخ الكبير، م١، ص٩٨ . ابن كثير: البداية، ج٣، ص٢٨٣

٧٣ . أبو خليل: (شوقي)، في التاريخ الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ١٤١٢هـ . ١٩٩١م، ط١، ص١٥٧

٧٤ . الواقدي: المغازي، ج٢، ص٧٦٤ . الدياربكري: تاريخ الخميس، ج٢، ص٧٣، ٧٢

٧٥ . ابن حنبل: مسند، ج٤، ص١٧٢ . ابن عساكر: التاريخ الكبير، م١، ص٩٨ . الدياربكري: تاريخ الخميس، ج٢، ص٧٢

٧٦ . ابن حنبل:(أبو عبد الله أحمد بن محمد ت٢٤١هـ / ٨٥٥م)، فضائل الصحابة، تحقيق وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م، ط١، ج١، ص١٨ . الذهبي:(شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ / ١٣٧٤م)، المغازي، تحقيق عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ص٤٨٥

٧٧ . ابن سعد: الطبقات، ج٢، ص٩٨ . ابن كثير: البداية، ج٣، ص٢٨٣

٧٨ . اليعقوبي: تاريخ ، م٢، ص٦٥ . ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص١١٤ . الذهبي: المغازي، ص٤٨٨

٧٩ . طنطاوي: السرايا، ص١٢٤

٨٠ . بيضون: تاريخ، ص١٢٢

٨١ . ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج٢، ص١٥٥

٨٢ . عرجون:(محمد الصادق)، خالد بن الوليد، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ. ١٩٨١م، ط١، ص٧١

٨٣ . الشجاع: دراسات، ص١٨٧

٨٤ . المباركفوري:(صفي الدين)، الرحيق المختوم، المطبعة العالمية، ١٤٢٢هـ. ٢٠٠١م، ط١، ص١٣٦

٨٥ . سالم: :(عبد العزيز)، التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، دار النهضة العربية، بيروت ، ص١٤٥ . ص١٤٦

٨٦ . الواقدي: المغازي، ج٢، ص٧٧٠ . ابن عساكر: التاريخ الكبير، م١، ص١٠٢ . ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص١٠٩

٨٧ . المباركفوري: الرحيق ، ص٣٣٦، ٣٣٧

٨٨ . البلاذري:(أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)، أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف، مصر، ١٩٥٩م ج١، ص٤٦٠

٨٩ . ابن حنبل: مسند، ج٤، ص١٧٧. الطبري: تاريخ، ج٢، ص٣١٥ . ابن عساكر: التاريخ الكبير، م١، ص١٠٣ . الذهبي: المغازي، ص٥١٤ . الطيب: (محمد سليمان)، موسوعة القبائل العربية، دار الفكر العربي، عابدين، ١٤١٨هـ. ١٩٩٧م، ط٢، ج٢، ص٣٧١

٩٠ . الغضبان:(منير محمد)، عمرو بن العاص الأمير المجاهد، مجلة جامعة أم القرى، مكة، ١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م، ط١، ص١٥٤

٩١ . الواقدي: المغازي، ج٢، ص٧٧٠ . ابن سعد: الطبقات، ج٢، ص٩٩ . عبد الهادي:(مهدي)، تطور العلم العربي من الفتح الإسلامي حتى مطلع القرن العشرين، عمان الأردن، ١٩٨٦م، ط١، ص٢

٩٢ . الحموي: معجم، ج٢، ص٢٢٣

٩٣ . ابن سعد: الطبقات، ج٢، ص٩٩

٩٤ . سورة النساء، الآية(٥٩)

٩٥ . الغضبان: عمرو ، ص١٦٢

٩٦ . الزهري: المغازي، ص١٥٠ . الواقدي: المغازي، ج٢، ص٧٧٠ . ابن عساكر: التاريخ الكبير، م١، ص١٠٣

٩٧ . عباس: تاريخ، ص٢٠٩

٩٨ . ابن هشام: السيرة ، ج٢، ص٦٢٣ . ابن عساكر: التاريخ الكبير، م١، ص١٠٣

٩٩ . سورة الفتح، الآية(٢٩)

١٠٠ . الواقدي: المغازي، ج٢، ص٧٧١ . ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٢٣

١٠١ . ابن سعد: الطبقات، ج٢، ص١٠٠ . ابن كثير: البداية، ج٣، ص٣١٤

١٠٢ . ابن كثير: البداية، ج٣، ص٣١٤

١٠٣ . الواقدي: المغازي، ج٢، ص٧٧٣

١٠٤ . الواقدي: المغازي، ج٢، ص٧٧٤ . ابن كثير: البداية، ج٣، ص٣١٤. الذهبي: المغازي، ص٥١٤

١٠٥ . ابن عساكر: تاريخ، ج٢، ص٢٧ . الذهبي: المغازي، ص٥١٦

١٠٦ . الغضبان: عمرو بن العاص، ص١٦٠

١٠٧ . وهذا يؤكد أن من بعض الأسباب لغزوة مؤتة كما سلف ذكره الحصول على السلاح استعداداً لفتح مكة.

١٠٨ . الواقدي: المغازي، ج٣، ص٩٨٩، ٩٩٠ . ابن سعد: الطبقات، ج٢، ص١٢٥ . ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص١٤٥ . الدياربكري: تاريخ الخميس، ج٢، ص١٢٢

١٠٩ . أبو خليل: في التاريخ، ص١٩٧

١١٠ . سورة التوبة، الآية(١٢٣)

١١١ . الواقدي: المغازي، ج٣، ص٩٩٠ . البيهقي: دلائل، ج٤، ص٢١٣ . ابن عبد البر: الدرر، ص٢٣٨ . الذهبي: المغازي، ص٦٢٧

١١٢ . البيهقي: دلائل، ج٤، ص٢١٣ . ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص١٨٩ . ابن سيد الناس: عيون، ج٢، ص٢١٥

١١٣ . ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص١٤٥ . الدياربكري: تاريخ الخميس، ج٢، ص١٢٣

١١٤ . سالم: التاريخ،ص١٥٣

١١٥ . الواقدي: المغازي، ج٣، ص٩٩٠ . الدياربكري: تاريخ الخميس، ج٢، ص١٢٣

١١٦ . ابن سيد الناس: عيون، ج٢، ص٢١٦ . الدياربكري: تاريخ الخميس، ج٢، ص١٢٣

١١٧ . الواقدي: المغازي، ج٣، ص٩٩١ . ابن حنبل: مسند، ج٤، ص١٧٧

١١٨ . أبو خليل: في التاريخ، ص١٩٩

١١٩ . الواقدي: المغازي، ج٣، ص٩٩٦ . ابن سعد: الطبقات، ج٤، ص١٢٥ . البلاذري:(أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي ت٢٧٩هـ / ٨٩٢م)، أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف، مصر، ١٩٥٩م، ج١، ص٤٤٣ . البيهقي: دلائل، ج٤، ص٢١٩ . الذهبي: المغازي، ص٦٣١

١٢٠ . ابن العبري: تاريخ، ص١٦٢ . ابن العماد الحنبلي:(أبي الفلاح عبد الحي ت١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، ج١، ص١٣

١٢١ . الدياربكري: تاريخ الخميس، ج٢، ص١٢٢

١٢٢ . البيطار: الرسول ، ص١٢

١٢٣ . سورة التوبة، الآية(١١٧)

١٢٤ . الذهبي: المغازي، ص٦٣١، ٦٣٢

١٢٥ . الكاتب:(عبد الحميد)، القدس، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٥هـ. ١٩٩٤م، ط١، ص٣٣

١٢٦ . آيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام وهي مدينة اليهود الذين حرّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت (الحموي، معجم، ج١، ص٩٩٢).

١٢٧ . ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص١٩١ . الكيلاني:(إبراهيم زيد)، المراسلات النبوية مع بعض القبائل العربية في جنوب بلاد الشام، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، الندوة الثانية، ص٩٤

١٢٨ . ابن سعد، الطبقات: ج٤، ص١٢٦ . البلاذري: فتوح، ص٨٥ . ابن عبد البر: الدرر، ص٢٤٢ . ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج٢، ص٢٢٠ . الدياربكري: تاريخ الخميس، ج٢، ص١٢٨

١٢٩ . الواقدي: المغازي، ج٣، ص١٠١٩ . البيهقي: دلائل، ج٤، ص٢٥٦

١٣٠ . سالم: المسلمون ، ص١١٦

١٣١ . البيهقي: دلائل، ج٤، ص٢٥٦ . ابن كثير: البداية، ج٥، ص٢٤ . المباركفوري: الرحيق المختوم، ص٣٧٣

١٣٢ . عباس: تاريخ، ص٢١٥

١٣٣ . الجبوري:(نهاد عباس شهاب)، تدابير الأمن العسكري في صدر الإسلام، بدون مكان وتاريخ ورقم الطباعة، ص٧٠

١٣٤ . عباس: تاريخ، ص٢١٦

١٣٥ . سورة البقرة، الآية(٢٤٩)

١٣٦ . أبو خليل: في التاريخ الإسلامي، ص٢٠٦

١٣٧ . حمارنة: (صالح)، دور جذام في الفتوح الإسلامية، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، نيسان ، تموز، ١٩٨٥م، عدد١٩.٢٠، ص١٥٨

١٣٨ . سورة التوبة، الآية(٣٨،٣٩)

١٣٩ . سورة التوبة، الآية(٤٢)

١٤٠ . سورة التوبة، الآية(٤٧)